فى خرائب بعلبك

الله أكبرُ كيف كانت حالُها ... آطامُ مجدٍ هذه أطلالُها
ربضتْ على صدرِ الزمانِ وأوثقتْ ... كلتا يديْه فحارَ كيف يَنالُها
وطئتْ جبابرُها الركام كأنما ... داستْ على هام الزوالِ نِعالُها
عُمدٌ تصعّد ناظريْكَ بشُمّها ... فيردُّ عنها ناظريْك جلالُها
وتحار هل هى فى الثرى أم أنها ... علقتْ بناصية الفضاء طوالُها !
جدرانُها المتداعياتُ تَخالُها ... لشموخِها تهوى بها أثقالُها !
ما إن يحيِّر ناظراً إصعادُها ... حتى يحيّرْ ناظراً إنزالُها
رضَمٌ لو انك سرتَ فى جنباتها ... لخشيتَ أن تهوى عليك ظلالُها
فى صخرها تَحْيَى النُّسورُ كأنها ... منحوتةٌ فى صُمِّه آجالُها !
وتظل من رجم الطُلول أُسُودها ... فكأنما رجمُ الطلولِ دحالُها
برزتْ باشداقٍ فُغِرْنَ مخافةً ... من أن تُمسَّ بشرةٍ أشبالُها
أُسْدٌ تذودُ عن الحياضِ فمن يردْ ... تلك الحياضَ أرابه إجفالُها

* * *

لمن الدّمى فى ساحتيْها نازلت ... غير الزمان ولن يكفَّ نزالُها ؟ !
حلدت بآلهة القرون كأنما ... تلك القرونُ مَرَدْنَ وهى عيالُها
وتدلّ شامخةً على أخلافها ... فكأنما حقٌّ لها إدلالُها
رصدت مخابىء فنها فبكفها ... مفتاحُها ، وبكفّنا أقفالُها

* * *

بينا تهيم النفسُ فى عَرَصاتها ... وتسائل العرصاتِ مَن نُزّالُها
ألقتْ على الحقب الخوالى نظرةً ... فتقهقرتْ هيابةً أجيالُها !
فاذا بأفروديت (١) نصب بحيرة ... رقراقةِ الجنباتِ راق زلالُها
عريانةٌ وشعورُها مسدولةٌ ... تصطاد آساد الدّحالِ حبالُها
حتى اذا انتفضتْ تشعّث شعرها ... وأطلّ تحت ذؤابتيه جمالُها
حرّى اللهاث لو النسائم أقبلت ... لتصرّمتْ بلهاثها أذيالُها !
تتطاير الشهواتُ من نظراتها ... وتفور فى حدقاتها أميالُها !
وتغوص خلف خيالها من عشقها ... فيضمها تحت المياه خيالُها !

* * *

إحدى عذارى الحب ثمّتَ أعولتْ ... أفليس من فرط الجوى إعوالُها ؟!
تتلمّس الابواب منهكة القوى ... لا تستقرُّ على قرار حالُها
عمياء لا تدرى أذلك هَدْيُها ... يقتادها أم انّ ذاك ضلالُها ؟
قد مرّتْ أهدابها أجفانها ... فترجرجت فى وقبها آمالُها
والدمعُ بلّ جناحَها فلو انها ... همّت لعاق عن المطار بلالُها

* * *

ما هذه الاشباحُ يزحمُ بعضُها ... بعضاً ، وتعتلق الهباءَ ضئالُها ؟
خطراتُ رؤيا لم تمرّ مرورَها ... فى خاطرى حتى امحّتْ أظلالُها
البومُ يَنعقُ والغراب محوّمٌ ... والارض أوشك أن يحين زوالُها
خربٌ وهذى شاخصات رسومِها ... لا الارض تطويها ولا زلزالُها
الدهرُ مَطّمَحُها فامّا أنها ... تغتال هذا الدهرَ أو يغتالُها !

شفيق المعلوف
نزيل سان باولو (البرازيل)

(١) الاسم اليونانى لعشتروث السمة الجمال وفينيس عند الافرنج .